رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة

عبد العزيز بن محمد بن سعود

تقديم

سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز

وفضيلة

الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

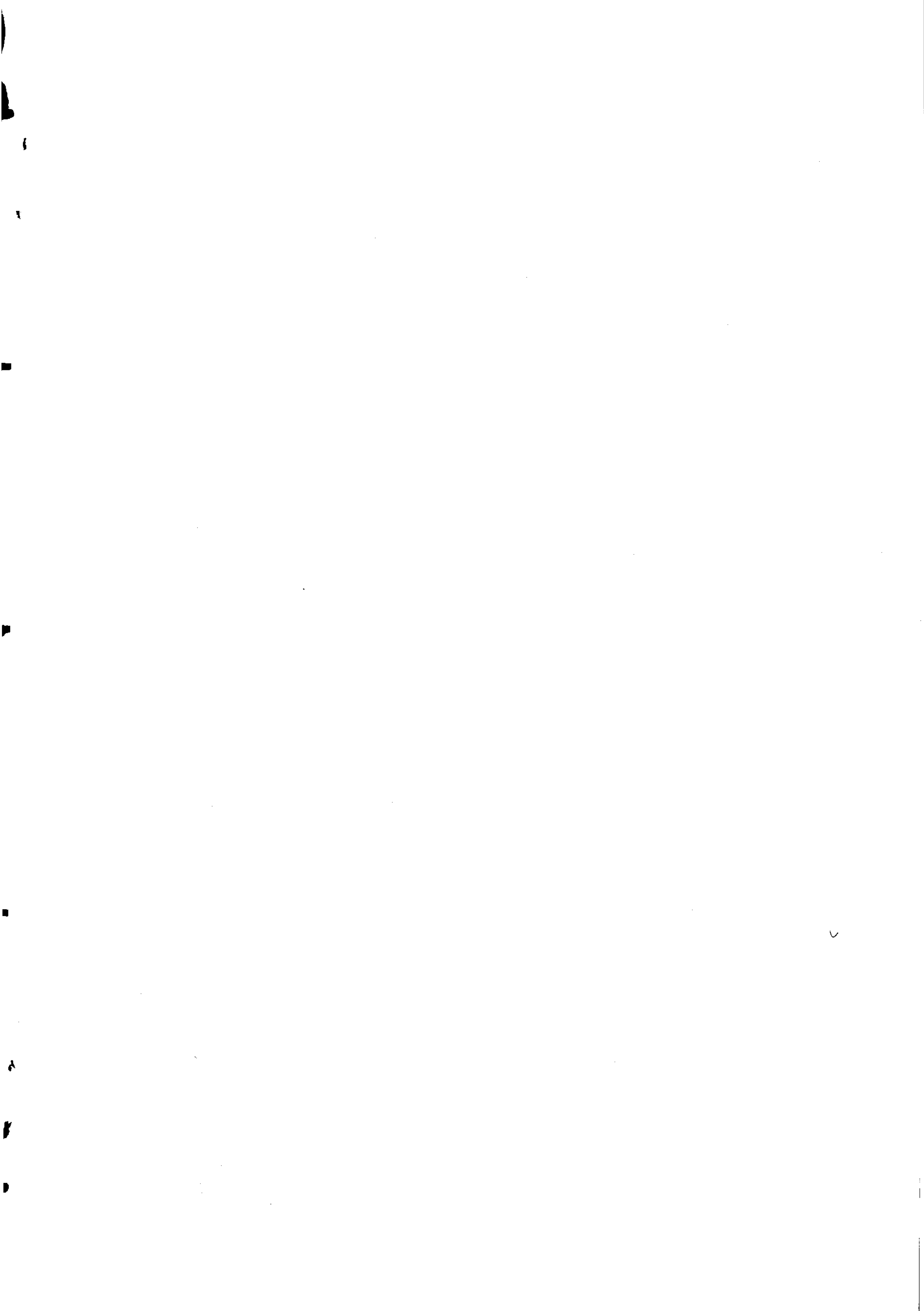
طبع على نفقة

صاحب السمو الملكي الأمير المكرم بندر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود

أجزل الله مثوبته

أشرف على الطبع

الشيخ حسن بن غانم الغانم



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم سماحة الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد/

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن آل باز

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين . والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله ودعا بدعوته ونصر سنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه رسالة موجزة يقدمها للقراء صاحب السمو الملكي الأمير المكرم **بندر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد آل سعود** ضاعف الله مثوبته ونصر به الحق وهي من مؤلفات عم جده الثالث تركي ابن عبدالله الإمام العلامة ناصر السنة وقامع البدعة عبدالعزيز ابن محمد بن سعود أمير المؤمنين في عصره وحامل لواء الجهاد في زمانه في البلاد النجدية وملحقاتها تولى الإمامة بعد أبيه محمد بن سعود رحمه الله وبايعه الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب والأمراء والأجناد والمسلمون بعد وفاة أبيه رحمه الله عام ١١٧٩هـ . وقام بالإمامة والدعوة إلى الله سبحانه والجهاد في سبيله أحسن قيام واستمر في ذلك مجاهداً في سبيل

الله ناصراً للسنة وقامعاً للبدعة وناشراً لعلوم الشريعة ومناصراً للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ولأنصاره والداعين إلى سبيل الله بسيفه وسنانه وقلمه ولسانه حتى وافته المنية في عام ١٢١٨هـ . رحمه الله رحمة واسعة ورفع درجاته في المهديين وضاعف له المثوبة وجزاه عما قدمه للمسلمين من نصر وجهاد ودعوة وتعليم وعناية بشئونهم ومواساة لفقرائهم أحسن الجزاء وأفضله وبارك في أسرته أسرة آل سعود وأسرة آل الشيخ محمد ونصر بهم الحق كما نصره بأولهم وجعلهم من الهداة المهتدين انه جواد كريم . وهذه الرسالة التي يقدمها سمو الأمير **بندر** كتبها الإمام عبدالعزيز رحمه الله إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وإلى غيرهم من علماء المشرق والمغرب أبان فيها دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي رحمه الله وبين أنها هي الدعوة التي دعت إليها الرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم إمامهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ وبارك عليه وعليهم أجمعين وأوضح فيها رحمه الله حقيقة العبادة التي خلق الله من أجلها الثقلين وأرسل بها الرسل وأنزل بها الكتب وحقيقة الشرك الذي أنذرت منه الرسل وحذرت منه أممها وبين رحمه الله الأمور التي أنكرها الناس على أصحاب هذه الدعوة المباركة وأوضح أدلتها وكشف الشبه التي تعلق بها عباد الأنبياء والأولياء فجاءت

بحمد الله رسالة كافية شافية في بيان حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأقام الله عليه سبحانه الأدلة والبراهين في كتابه المبين وعلى لسان رسوله الأمين . كما جاءت كافية شافية في بيان الشرك الوخيم الذي حذر الله منه عباده وأنكرته الرسل على أممهم وحكم الله على أهله بالخلود في النار وحرمانهم من دخول الجنة دار الأبرار كما قال عز وجل :

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (١)

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٢)

وقال عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٣)

ولعظم شأن هذه الرسالة وكثرة فوائدها رأيت أن أقدم لها هذه المقدمة الموجزة تأييداً لما تضمنته من الحق وبياناً لشيء من ترجمة مؤلفها وعلمه وفضله وماقام به من النصرة لدين الله

---

(١) سورة المائدة آية ٧٢ .

(٢) سورة النساء آية ٤٨ ، ١١٦ .

(٣) سورة الزُّمر آية ٦٥ .

والجهاد في سبيله بسيفه وسنانه وقلمه ولسانه ومناصرته دعاة الحق وقمعه دعاة البدعة والشرك رحمه الله وأكرم مثواه وأسأل الله أن ينفع بها المسلمين وأن يضاعف الأجر لكاتبها وأن يجزيه أحسن الجزاء وأفضله عما قام به من النصر لدين الله والدعوة إلى سبيله والجهاد لأعدائه وأن يوفق سمو الأمير بندر لكل خير وأن يضاعف مثوبته وأن يجعلنا وإياه وجميع أسرته واخوانه وجميع أسرة آل الشيخ محمد رحمه الله من أنصار الحق والهدى وأن يعيذ الجميع من مظلات الفتن انه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

حرر في ١٥/٦/١٤٠٧هـ

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

لفضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمـاً كثيراً ، أما بعد :

فإن الله بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، يبشرون الموحد المتبع سبيلهم ، وينذرون المشرك المخالف طريقهم ، وإن دين الإسلام الذي بعث الرسل جميعاً به دين التوحيد هو الغاية من خلق الإنس والجن ، فما خلقوا إلا للعبادة ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١)

وقال :

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢)

فالعبادة الخالصة خلق من أجل تحقيقها الثقلان ، وما

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

أسماها من غاية ، وما أعظمها من تشريف .

وإن الرسل صلوات الله عليهم إذا بلغوا ثم رحلوا خلف من بعدهم خلوف ، غيروا طريقهم وتنكبوا سبيلهم ، متبعين السبل المتفرقة ، يقودهم الشياطين ، شياطين الإنس والجن ، ويحثهم داعياً الشهوة والشبهة ، ولهما في القلوب شر مستطير ، وتأثير كبير خطير .

وإن رسولنا محمداً ﷺ تركنا على البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، أبان التوحيد وحمى حماه وأوضح سبيل المشركين بالبلاغ والبيان ، صلى الله عليه وسلم وجزاه الله عن أمته خير ماجزى به نبياً عن أمته ، فلما توفاه الله إلا والتوحيدُ الخالص قد عَمَّ الأرض الطيبة ، وتربى عليه صحابته الكرام ، الذين كتب الله على أيديهم النصر ، وإرساء الدين ، دين الإسلام ، دين التوحيد والبراءة من الشرك ، في أكثر أقطار الأرض والحمد لله رب العالمين .

وبعد هذا الخير العظيم ، وبعد انقضاء القرون المفضلة ، ظهرت في الناس دعوات شركية، ظاهرها ــ للمغرور ــ الإسلام ، وباطنها ــ للمتبصر ــ الإلحاد ، منها الدعوات الإسماعيلية الباطنية التي أنتجت دولة العبيديين .

وهذه الدولة انتشر في زمانها بتنشيط دعاتها ، ودعمهم وتقويتهم البدع والشركيات العظيمة ، حتى تربى عليه

الصغار ، وأصبح كالمعروف بعد أجيال . ولاغرو ، فإن التربية التي يشب عليها الصغير ويهرم عليها الكبير إذا كانت من ذي سلطان وقوة فلها آثار سيئة على الدين والشريعة ، فالإنكار يقل والراغب يكثر ، والنفوذ والتقرير للبدع والشرك في ازدياد ، وغير ذلك .

ومع إحداث هؤلاء بعض ماوصفناه وكثيراً طويناه لم يعدم المسلمون من ينبه على هذه البدع والشركيات منذ ظهورها إلى يومنا هذا .

ثم إن هذه الشركيات مع تطاول الزمان ، وتتابع القرون ، أصبحت كالشيء المعروف غير المنكر ، المحبوب غير المكروه ، لا يحوم خاطر على أنه شرك وجاهلية إلا من سَلِمَ له دينه وتوحيدُه ، وقليلٌ ماهم .

وكان من قدر الله الذي شرف به بعض عباده أن هيىء لنصرة التوحيد رجلاً أقض مضجعه وأسهر ليله حالُ المسلمين ، الذين بعدوا عن التوحيد ، وانساقوا مع الغواية والجاهلية ، فمضى يدرس أحوالهم سنين متطاولة ، وزماناً مديداً ، يدرس واقعهم بالدلائل الشرعية الصحيحة الصريحة ، ويدرس السبيل إلى النهوض بهم ، وهدايتهم إلى دين الإسلام الذي بعث به رسولُ الله محمدٌ ﷺ .

فوفقه الله إلى ما أراد ، فنصر التوحيد قولاً وعملاً ، فأبدل

الله مواقع وبلدان الشرك في الجزيرة ، ببلدان التوحيد والإيمان والاتباع الخالص ، فكانت بلادُهم في وقته وبعد ذلك ماشاء الله ـــ أقرب ماتكون إلى حياة الصحابة رضي الله عنهم .

ذلك الرجل هو الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، المولود سنة ١١١٥هـ ، والمتوفى سنة ١٢٠٦هـ .

وما من شك في أن صاحب الدعوة والفكرة لا بد له من سيف يناصره ، ويدٍ تعضده ، وإلاَّ فما حيلتُه !

فكان من قضاء الله أن شَرَّف بيت «آل سعود» بنصرة هذه الدعوة ، دعوة تجديد دين الإسلام ، وياله من شرف يفوق كل شرف ، وعز فوق كل عز ، لو عُقِلَ(٢) ذلك ، ووزن ، فنصر الأمير محمد بن سعود رحمه الله الشيخ نصراً مؤزراً ، فاتسعت رقعة البلاد في عهده ، ماشاء الله أن يكون من ذلك .

ثم أتى بعد الإمام محمد بن سعود ولده العالم الصالح المجاهد عبدالعزيز بن محمد بن سعود ـــ رحمه الله رحمة واسعة ، فتولى الإمامة بعد أبيه بمبايعة الإمام محمد بن عبدالوهاب له سنة ١١٧٩هـ .

وعبدالعزيز كان تلميذاً وطالباً للعلم على الشيخ محمد بن

عبدالوهاب ، فربّاه أحسن تربية علمية ، ونماه بعلوم الشرع ، كما نماه والده بعلوم الجهاد والإمارة . فاجتمعت فيه الخصلتان الغاليتان العلم والقوة .

وما أحسن وأبلغ اجتماع تلك الخصلتين في رجل ولي أمور المسلمين ، إنه نتاج تربية العلماء والأمراء ، أولئك يربون على العلم والدين ، وهؤلاء يربون على الحكم والقوة . فأعظم بها طريقة ، ثم أعظم بأثرها ، وماعداها فطريقة يلحقها من النقص بقدر ما بعدت عن ذلك .

في عهد عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله رحمة واسعة ، توسع الموحدون في غزواتهم وخاضوا الحروب بالسنان واللسان ، وبلغت الدعوة للقاصي والداني ، والقريب والنائي ، وكانت الدعوة في أشدها ، وعلومها في أوجها .

ومن ذلك الجهاد اللساني، الذي لم يتركه الإمام عبدالعزيز للعلماء غيره في هذه الرسالة التي قلت صفحاتها ولكنها هي المرتكز لكل المناقشات والردود على أهل الضلال ، إذ فيها تركيز وتحقيق ، يقَرُّ بها من طالعها .

وإن مثل هذا الجهاد لواجب على دعاة التوحيد ، وأنصار الدعوة ، وماالتخلف عنه بمحمود ، بل هو مذموم عند أهل العقول والحجى، وللتخلف آثاره الدامية الماحية . وما أطيب

وأحسن وأوسع للصدر أن يُعيد طبعة هذه الرسالة حفيد أخي كاتبها سمو الأمير المفضال بندر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن حفظه الله ، ووفقه لكل خير ، فإن في ذلك أبعد الأثر لها ، وأقرّ للعيون بها .

فعسى الله أن ينفع بها هذا اليوم ، كما نفع بها ذلك اليوم ، وأن يرجع للتوحيد قوته ونفوذه ، ويكثر أنصاره والدعاة إليه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

الرياض في ١٤٠٦/١٢/٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولاعدوان إلا على الظالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

«من عبدالعزيز بن محمد بن سعود»

إلى من يراه من العلماء ، والقضاة ، في الحرمين ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وسائر علماء المشرق ، والمغرب .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد ، فإن الله عز وجل شأنه ، وتعالى سلطانه لم يخلق الخلق عبثاً ، ولاتركهم سدى وإنما خلقهم لعبادته ، فأمرهم بطاعته وحذرهم مخالفته ، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة ، أما في ناره بعدله ، أو في جنته بفضله ورحمته ، قد أخبر عز وجل بذلك في كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول أرسله ، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية ، وأخبرتنا به الأحاديث النبوية .

قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

وقال سبحانه :

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (١)

فالعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال ، مختصة بجلاله وعظمته ، فهي الغاية المحبوبة له والمرضية عنده ، وبها أرسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ وكذلك قال هود ، وصالح ، وشعيب ، وغيرهم من الرسل كل قال لقومه ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (٢)

وذلك أن الآله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل .

والآله الحق هو الله .

قال تعالى :

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٣)

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (٤)

وقال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ (٥)

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٣ .
(٢) سورة الأعراف من آية ٥٩ إلى آية ٨٥ .
(٣) سورة محمد آية ١٩ .
(٤) سورة النحل آية ٢٦ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

فصــل

فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الأعلام رضي الله عنهم كأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد وغيرهم من أئمة السلف .

أن (لا إله إلا الله) معناها ترك كل معبود سوى الله واخلاص الالهية له تعالى وحده .

وأن توحيد العبادة هو افراد العباد ربهم بأفعالهم التي أمرهم بها في كتابه ، وعلى لسان رسوله فإذا جعلت لغيره تعالى صار ذلك تأليهاً للغير مع الله . وإن لم يعتقد الفاعل ذلك . فالمشرك مشرك شاء أم أبى وليس التوحيد خاصاً بافراد الله بأفعاله تعالى وتقدس ، كخلقه السموات والأرض والليل والنهار ، ورزق العباد وتدبيره أمورهم ، لأن هذا قد أقرَّ به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام ويسمى توحيد الربوبية .

(العبادة لغة وشرعاً)

معناها : لغة الذل والخضوع .

وشرعاً : ما أمر به من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي من أفعال العباد وأقوالهم المختصة بجلال الله وعظمته ، كدعائه تعالى بما لا يقدر عليه إلا هو من جلب نفع أو دفع ضـر أو رجائه فيه والتوكل عليه ، وذبح النسك والنذر والإنابة

والخضوع كل ذلك مختص بجلال الله كالسجود والتسبيح والتهليل ، فكل ذلك مما قدمناه هو معنى قول (لا إله إلا الله) .

ولا يغني أحد التوحيدين عن الآخر ، بل صحة احدهما مرتبطة بوجود الآخر .

لما فهمنا ذلك وعلمنا به قام علينا أهل الأهواء فخرجونا وبدعونا وجعلوا اليهود والنصارى أخف مناشراً ومن اتباعنا ، ولم ننازع المخالف في سائر المعاصي بأنواعها ولا المسائل الاجتهادية ، ولم يجر الاختلاف بيننا وبينهم في ذلك ، بل في العبادة بأنواعها ، والشرك بأنواعه .

فصـــل

فنحن نقول ليس للخلق من دون الله ولي ولا نصير . وجميع الشفعاء سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ فمن دونه ـ لايشفعون لأحد إلا بإذنه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ (١)

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ (٢)

﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) سورة الكهف آية ١٠٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٨ .

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ (١)

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ (٢)

وإذا كان كذلك فحقيقة الشفاعة كلها لله ، ولا تسأل في هذه الدار إلا منه سبحانه وتعالى .

فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق لجلب الخير أو دفع الشر ، ولا يجعل لهم من حقه شيء ، لأن حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم .

فإن حقه عبادته بأنواعها بما شرع في كتابه ، وعلى لسان رسوله وحق أنبيائه عليهم السلام الإيمان بهم وبما جاؤوا به ، وموالاتهم ، وتوقيرهم ، واتباع النور الذي أنزل معهم ، وتقديم محبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين .

وعلامة الصدق في ذلك اتباع هديهم والإيمان بما جاؤوا به من عند ربهم ، قال تعالى :

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٣)

والإيمان بمعجزاتهم ، وأنهم بلغوا رسالات ربهم ، وأدوا الأمانة ، ونصحوا الأمة ، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم ، واثبات شفاعتهم التي أثبتها الله في كتابه ، وهي من بعد اذنه

---

(١) سورة الزمر آية ٤٤ . (٢) سورة النجم آية ٢٦ .

(٣) سورة آل عمران آية ٣١ .

لمن رضي عنه من أهل التوحيد .

وأما المقام المحمود الذي ذكر الله في كتابه وعظم شأنه فهو لنبينا محمد ﷺ . وكذلك حق أوليائه محبتهم ، والترضي عنهم ، والإيمان بكراماتهم ، لادعاؤهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر على جلبه إلا الله تعالى ، أو ليدفعوا عنهم سوءً لا يقدر على دفعه إلا هو عز وجل ، فإن ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس .

هذا إذا تحققت الولاية رُجيت لشخص معين كظهور اتباع سنة ، وعمل بتقوى في جميع أحواله ، والافقد صار الولي في هذا الزمان من أطال سبحته ، ووسع كمه ، وأسبل ازاره ، ومد يده للتقبيل، وليس شكلاً مخصوصاً ، وجمع الطبول والبيارق ، وأكل أموال عباد الله ظلماً وادعاءاً ورغب عن سنة المصطفى وأحكام شرعه . فنحن إنما ندعو إلى العمل بالقرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، الذي فيه الكفاية لمن اعتبر وتدبر وبعين بصيرته نظر وفكر ، فإنه حجة الله وعهده ، ووعده ، ووعيده ، فمن اتبعه عاملاً بما فيه جد جده ، وبان سعده ، ومن خالفه واتبع هواه فقد ضل ضلالاً مبيناً .

والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد ، فلا تقليد فيه ولا عناد . ولا نكفر إلا من أنكر أمرنا هذا ونهينا ، فلم يعمل بما أنزل الله من التوحيد ، بل عمل بضده الذي هو الشرك الأكبر ، والذنب الذي لا يغفر ، كما سنذكر أنواعه ، وجعله

ديناً ، وسماه وسيلة عناداً وبغياً ، ووالى أهله وظاهرهم علينا ، ولم يقم باركان الدين وامتنع من قبول دعوتنا ، وأمر بقتالنا وارجاعنا عن دين الله الحق إلى ماهم عليه من الشرك ، والعمل بسائر مالا يرضي رب العباد ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

وماحجتهم علينا إلا أن المدعو يكون شفيعاً ووسيلة . ونحن نقول أن هؤلاء الداعين الهاتفين بذكر الأموات والأحياء الغائبين يطلبون كشف شدتهم ، وتفريج كربتهم وابراء مريضهم ، ومعافاة سقيمهم ، وتكثير رزقهم وايجاده من العدم ، ونصرهم على عدوهم براً وبحراً ، ولم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة / وحقيقة قولنا أن الشفاعة وإن كانت حقاً في الآخرة ، فلها أنواع مذكورة في محلها .

ويجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ بل وغيره من الشفعاء ، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ماعدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة وليس منها مايقصدون .

فالوصف من مات لايشرك بالله شيئاً .

كما في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (لكل نبي دعوة مستجابة ، واني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لايشرك بالله شيئاً) .

وحديث أنس بن مالك الذي في الشفاعة بطوله .

وحديث الذراع الذي رواه أبو هريرة المتفق عليه .

وإذا كانت بالوصف فرجاؤه أن يشفع فيه نبيه هو المطلوب .

فصـــل

فالمتعين على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى ، بالإقبال إليه والإتكال عليه ، والقيام بحق العبودية لله عز وجل ، فإذا مات موحداً شفع الله فيه نبيه .

بخلاف من أهمل ذلك وتركه ، وارتكب ضده من الاقبال إلى غير الله بالتوكل عليه ، ورجائه فيما لايمكنٍ وجوده إلا من عند الله ، والالتجاء إلى ذلك الغير ، مقبلاً على شفاعته متوكلاً عليها ، طالباً لها من النبي ﷺ أو غيره ، راغباً إليه فيها ، تاركاً ماهو المطلوب المتعين عليه ، من اخلاص للعبادة لله وطلب الشفاعة منه ، فهذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ، ولم تنشأ فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد .

ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذنه وحده ، فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، لا ملك ولا نبي ولا غيرهما ، لأن من شفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه بشفاعته ، ولاسيما ان كانت من غير اذنه ، فجعله يفعل ماطلب منه ، والله تعالى لاشريك له بوجه من الوجوه ، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه ، والله تعالى وتر لايشفعه أحد بوجه من الوجوه ، ولهذا قال عز من قائل:

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾

وقال : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (١)

فمن طلبها من غير الله ، فقد زعم أنها مشروعة بغير إذن الله ورضاه عن المشفوع له .

والله يقول :

﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٣)

والعبرة في النصوص بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، مع ملاحظته وعدم الاقتصار عليه ـ

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٤ .
(٢) سورة السجدة آية ٤ .
(٣) سورة الأنعام آية ٥١ .

فصـــل

وأما دعاء الله عز وجل للغير ، فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه سائر مايقدر عليه .

ودعوة المسلمين بعضهم لبعض مستحبة ، قد وردت بها الآثار الصحيحة في مسلم وغيره ، فإن كانت للميت فهي آكد . وكان النبي ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول : (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

فالميت أحوج بعد الدفن إلى الدعاء ، فإذا قام المسلمون على جنازته دعوا الله له ، وشفعوا له بالصلاة عليه دون أن يدعوه . فبدل أهل الشرك والبدع الدعاء له بدعائه ، والاستغاثة به والهتف باسمه عند حلول الشدة ، وتركوا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

كما بدلوا الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ احساناً إلى الميت ، وتذكيراً بالآخرة ، بسؤال الميت نفسه وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة ، وحضور القلب وخشوعه عندها ، أعظم منه في الصلاة والمساجد وإذا كان الدعاء مشروعاً لسائر المؤمنين ، فالنبي ﷺ أحق الناس بأن يصلى ويسلم عليه ويدعى له بالوسيلة .

كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عَلَيَّ مرة

صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لاينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة) .

واستشفاع العبد في الدنيا إنما هو فعل للسبب لحصول شفاعته له يوم القيامة طبق ماجاء به قولاً واعتقاداً .

وإنما سئلت له الوسيلة مع تحققها تنويهاً بقدره ، ورفعاً لذكره ، ويعود ثواب ذلك إلينا . فهذا هو الدعاء المأثور وهو فارق بين الدعاء الذي أحبه والذي نهى عنه .

ولم يذكر أحد من الأئمة الأربعة ولاغيرهم من أئمة السلف فيما نعلمه أن النبي ﷺ يسئل بعد الموت الاستغفار ولاغيره .

قال الإمام مالك رحمه الله فيما ذكره اسماعيل بن أسحق في المبسوط عنه ، والقاضي عياض في الشفاء والمشارق ، وغيرهما من أصحاب مالك عنه : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي ، وقال أيضاً في المبسوط عن مالك لابأس لمن قدم من السفر أو خرج إليه يقف عند قبر النبي ﷺ ويصلي ويسلم عليه ويدعو له ، ولأبي بكر ، وعمر ، فقيل له إن ناساً من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولايريدونه ، وهم يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر يأتون عند القبر

فيسلمون عليه ويدعون ساعة فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه في بلدنا لا من الصحابة ولاغيرهم ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ماأصلح أولها ولم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه في بلدنا لا من الصحابة ولا غيرهم ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك : يكررون المجيء إلى القبر ، بل كانوا يكرهونه إلا لمن جاء من سفر وأراده انتهى .

وتلاوة الآية في قوله :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [1] الآية والاستغفار بحضرة القبر ، وإن قال به جماعة من متأخري الفقهاء فهم لم يقولوا يدعى صاحب القبر ، بل المحفوظ عنهم أن الميت والغائب لايسئل منه شيء لا ، استغفار ولا غيره . وحياته في قبره برزخية لاتقتضي دعاءه ، وأصحابه أعلم بها منا ، ولم يأت أحدهم إلى القبر فيسأله ويستغيث به .

وقد ثبت النهي منه عليه الصلاة والسلام أن يتخذ قبره عيداً . قال أبو يعلى الموصلي في مسنده عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (لاتتخذوا قبري عيداً

---

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم) رواه أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي في مختاراته .

وروى سعيد بن منصور في السنن عن أبي سعيد مولى المهرى قال : قال رسول الله ﷺ (لاتتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني) وروى هذا الحديث أبو داود عن أبي هريرة . ورواه سعيد أيضاً من حديث الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وهذان الحديثان ، وإن كانا مرسلين فهما يقويهما حديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا) وهو حديث ثابت باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنهم ، وهو إن كان معناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد من المساجد إلا إلى الثلاثة التي قد ذكرت ، فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة إنما هو للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة القرآن ، والاعتكاف الذي هو من الأعمال الصالحة . وماسوى هذه المساجد لايشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم ، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ، ولا يشرع شد الرحل إليه من بعيد ، ولذلك كان النبي ﷺ يأتي إليه كل سبت ماشياً وراكباً ، وكان ابن عمر يفعله كما في

الصحيح .

وكما أنه أسس على التقوى ، فمسجده ﷺ أعظم في تأسيسه على التقوى ، كما ثبت في الصحيح عنه ، ﷺ أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال : (مسجدي هذا) فكلا المسجدين أسس على التقوى ، ولكن اختص مسجده بأنه أكمل في هذا الوصف من غيره ، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ، ويأتي لمسجد قباء يوم السبت .

وإذا كان السفر إلى مسجد غير الثلاثة ممنوعاً شرعاً مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة ، ويستحب أخرى ، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل مالايحصى ، فالسفر إلى مجرد القبور أولى بالمنع . ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة التي أحدثها الملوك وأشباههم .

تنبيـــه :

الأحاديث التي رواها الدارقطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام ، كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة ، منهم ابن الصلاح ، وابن الجوزى ، وابن عبدالبر ، وأبو القاسم السهيلي ، وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين بن تيمية وغيرهم . ولم يجعلها في درجة الضعيف إلا القليل ، وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن ، والأئمة كلهم يرون بخلافه .

وأجل حديث روي في هذا حديث أبي بكر البزار ، ومحمد بن عساكر ، حكاه أهل المعرفة بمصطلح الحديث كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما .

وإنما رخص ﷺ في زيارة القبور مطلقاً بعد أن نهى عنها . كما ثبت في الصحيح ، لكن بلا شد رحل وسفر إليها ، للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك كما تقدم .

فصــل

وإذا كان السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه دخلت زيارة القبر تبعاً لأنها غير مقصودة استقلالاً ، وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل محذور عند القبر ، كما تقدم عن مالك .

وماحكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من السفر لأجل زيارة القبر فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده ، بل يصلي ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم عمر .

ولايقصد الصلاة عند القبر للعنه ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد ، واللعنة في كلام الله ، وكلام رسوله لاتجامع إلا الحرمـة والإثم لامجرد الكراهة ولقوله : (اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

قال ابن حجر رحمه الله في (الامداد الموسوم بشرح ( ) ينوي الزائر المتقرب السفر إلى مسجده ﷺ وشد الرحل إليه ، لتكون زيارة القبر تابعة ، انتهى .

واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم ، إما في الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك الأصغر ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين ،

كود ، وسواع ، ويغوث ، وتماثيل طلاسم الكواكب ونحو ذلك يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم .

والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو بحجر . ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً مايتضرعون ويخشعون عندها مالا يخشعون لله في الصلاة ، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم ، والاستغاثة بهم ، وسؤال النصر على الأعداء وتكثير الرزق ، وإيجاده ، والعافية ، وقضاء الديون ، ويبذلون لهم النذور لجلب ما أملوه ، أو دفع ماخافوه ، مع اتخاذهم أعياداً ، والطواف بقبورهم ، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، والطلبات التي كان عليها عباد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم ، فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته وتفريج كربته ، ويهتفون عند الشدائد باسمه كما يهتف المضطر بالفرد الصمد ، ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران ، والنجاة من النيران وانها تجب ماقبلها من الآثام ، بل قد وجد هذا الاعتقاد في الأشجار والغيران ، يهتفون باسمها ، واسم من ينسبونها إليه من المعتقدين بما لايقدر عليه إلا رب العالمين ، وأكثر مايكون ذلك عند الشدائد .

فصــل

والله تعالى عز شأنه ، قد فسر هذا الدعاء في مواضع أخرى بأنه عبادة محضة ، كقوله :

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩١﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (١)

وقوله :

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٢)

والأنبياء والملائكة والصالحون كل معبود من هؤلاء داخل في عموم قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٣)

كما هو سبب النزول .

وقوله عز شأنه :

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (٤)

فدعاؤهم آلهتهم هو عبادتهم لها ، ولأنهم كانوا إذا جاءتهم

---

(١) سورة الشعراء آية ٩٢ ، ٩٣ .
(٢) سورة الانبياء آية ٩٨ .
(٣) سورة الأنبياء آية ١٠١ .
(٤) سورة الكافرون آية ٢ .

الشدائد دعو الله وحده وتركوها ، ومع هذا فهم يسألونها بعض حوائجهم بواسطة قربهم من الله ويطلبونها منهم بشفاعتهم لهم . فأمر الله العباد بإخلاص تلك العبادة له وحده ، فلا يدعونهم ولا يسألونهم الشفاعة ، فإن ذلك دين المشركين .

قال الله تعالى فيهم :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ (٢)

وإنما ذكر الله تعالى ذلك عنهم لأنهم يدعون الملائكة والأنبياء ويصورون صورهم ليشفعوا لهم فيهادعوهم فيه وذلك بطرق مختلفة (ففرقة) قالت ليس لنا أهلية مباشرة دعاء الله ورجائه ، بلا واسطة تقربنا إليه وتشفع لنا لعظمته .

(١) سورة سبأ آية ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) سورة الإسراء آية ٥٦ ، ٥٧ .

(وفرقة) قالت الأنبياء والملائكة لهم وجاهة ومنزلة عند الله فاتخذوا صورهم من أجل حبهم لهم ليقربوهم إلى الله زلفى . (وفرقة) جعلتهم قبلة في دعائهم وعبادتهم .

(وفرقة) اعتقدت أن لكل صورة مصورة على صورة الملائكة والأنبياء وكيلاً موكلاً بأمر الله ، فمن أقبل على دعائه ورجائه وتبتل إليه ، قضى ذلك الوكيل ماطلب منه بأمر الله ، وإلا أصابته نكبة بأمره تعالى .

فالمشرك إنما يدعو غير الله بما لايقدر عليه إلا هو تعالى ويلتجيء إليه فيه ويرجوه منه بما يحصل له في زعمه من النفع ، وهو لا يكون إلا فيمن وجدت فيه خصلة من أربع :

اما أن يكون مالكاً لما يريد منه داعيه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً ، فإن لم يكن شريكاً كان ظهيراً ، فإن لم يكن كان شفيعاً . فنفى الله سبحانه وتعالى هذه المراتب الأربع عن غيره ، الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي لأجلها وقعت العداوة والمخاصمة بالآية المتقدمة وبقوله :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ (١)

وقوله :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الإسراء آية ١١١ .

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦ .

وقوله : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

وقوله : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

وقوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ (٣)

وقوله : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (٤)

وأثبت سبحانه وتعالى مالا نصيب فيه لمشرك البتة ، وهي الشفاعة بإذنه لمن رضي عنه وهو سبحانه يعلم السر وأخفى ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

لهذا لما قالت الصحابة رضي الله عنهم : أربنا قريب فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ أنزل الله سبحانه :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٥)

وقال تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٦)

---

(١) سورة غافر آية ١٦ .

(٢) سورة الانفطار آية ١٩ .

(٣) سورة الفاتحة آية ٤ .

(٤) سورة طه آية ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٦) سورة الزمر آية ٤٣ .

فصــل

الموحد من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعالى الألوهية المقتضية لعبادته في محبته وخوفه ورجائه ودعائه والإستعانة به ، والتوكل عليه ، وحصر الدعاء بما لايقدر على جلبه أو دفعه إلا الله وحده ، والموالاة في ذلك ، والمعاداة فيه ، وأمثال هذا ناظراً إلى حق الخالق والمخلوق من الأنبياء والأولياء مميزاً بين الحقين .

وذلك واجب في علم القلب ، وشهادته ، وذكره ، ومعرفته ، ومحبته ، وموالاتـه وطاعته وهذا من تحقيق (لا إله إلا الله) لأن معنى (الاله) عند الأولين ماتأله القلوب بالمحبة ، والتعظيم ، والإجلال ، والخضوع ونحو ذلك مما لايكون إلا لله .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ (١)

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٢)

وهم ماسووهم به لا في الصفات ، ولا في الذات ، ولا في الأفعال ، كما حكى الله عنهم في الآيات ، والشاهد لله بأنه

(١) سورة البقرة آية ١٦٥ .
(٢) سورة الشعراء آية ٩٧ ، ٩٨ .

لا إله إلا هو ، وقائلها نافياً قلبه ولسانه لألوهية كل ماسواه من الخلق ، ومثبتاً به الالوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق ، فيكون معرضاً عن الوهية جميع المخلوقات لا يتألههم بما لايقدر عليه إلا الله ، مقبلاً على عبادة رب الأرض والسموات وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله ومفارقته في ذلك كل ماسواه فيكون مفرقاً في عمله ، وقصده ، وشهادته ، وإرادته ، ومعرفته ، ومحبته بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون عالماً بالله ، ذاكراً له ، عارفاً به ، وانه تعالى مباين لخلقه ، منفرد عنهم بعبادته ، وأفعاله ، وصفاته ، فيكون محباً فيه مستعيناً به لا بغيره ، متوكلاً عليه لا على غيره .

وهذا المقام هو المعني في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (١) وهو من خصائص الألوهية التي يشهد له بها تعالى عباده المؤمنون .

كما أن رحمته لعبيده ، وهدايته إياهم وخلقه للسموات والأرض ومابينهما ومافيهما من الآيات ، من خصائص الربوبية التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، حتى ابليس عليه اللعنة معترف بها في قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ ﴾ (٢)

(١) سورة الفاتحة آية ٥ .
(٢) سورة ص آية ٧٩ .

وقوله :

﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١)

وأمثال هذا الخطاب الذي يعترف فيه بأنه ربه وخالقه ومليكه ، وأن ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس ، وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه وزعمه انه فيما ادعاه وقاله محق . وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالى ، وهم له بها يعترفون ، قال تعالى :

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ (٢)

وقال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (٣)

وقال تعالى :

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٤)

فمن دعا غيره تعالى لم يكن مخلصاً ، وقال تعالى :

---

(١) سورة الحجر آية ٣٩ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) سورة العنكبوت آية ١ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٦٥ .

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (٢)

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً .

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي من حديث حصين ابن عبيد أن رسول الله ﷺ قال : (ياحصين كم تعبد ؟ قال ستة في الأرض وواحداً في السماء قال : فمن ذا الذي تعد لرغبتك ؟ قال الذي في السماء . فقال له رسول الله ﷺ (أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن) فأسلم فقال له قل : (اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي) .

فمجرد معرفتهم بربوبيته تعالى واعترافهم بها لم تنفعهم ولم تدخلهم في الإسلام لما جعلوا مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده ، فبذلك

(١) سورة المؤمنون آية ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) سورة الشعراء من آية ٦٩ إلى ٧٤ .

كانوا مشركين في عبادته ومعاملته . ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لاشريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وماملك .

والمقصـــود

من الأدلة السابقة ، ومما يأتي أن يفهم القارىء أن الدعاء هو العبادة روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ان الدعاء هو العبادة ـــ

وفي رواية ـــ مخ العبادة) ثم قرأ رسول الله ﷺ

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ (١) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، ورواه أيضاً النسائي ، وابن ماجه والحاكم والإمام أحمد وابن أبي شيبة بهذا اللفظ .

وهذه الصيغة تفيد حصر الدعاء على العبادة فلا يخرج عنها لأنها من الصفات اللازمة التي ليس لها مفهوم يخالف الظاهر كقوله تعالى ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ (٢)

إذ كل مدعو فهو اله قصد الداعي أن يكون مدعوه إلهاً أم لا ، اتخذه المشركون الأولون أم لا ، وليس ثم دعاء اله آخر له برهان .

(١) سورة غافر آية ٦٠ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١١٧ .

فصــل

يوضح ماقدمنا أن الله سبحانه وتعالى وصف دين المشركين بقوله :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (١)

الآية : فبين في هذه الآية أن قصدهم الشفاعة .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال فقلت ثم أي قال)(أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قال قلت ثم أي؟ قال: (ان تزاني بحليلة جارك) فأنزل الله تصديقها

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ (٢)

فبين النبي ﷺ أن أعظم الذنوب الشرك بالله الذي هو جعل الانداد واتخاذهم من خلقه ليقربوهم وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ان الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم .

فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه

---

(١) سورة الزمر آية ٣ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٨ .

فصــل

والشرك شركان .

أكبر وله أنواع ، ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً . وشرك أصغر كالرياء والسمعة ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) .

ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ (من حلف بغير الله فقد أشرك)أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان .

وقال ﷺ : (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) أخرجه الشيخان وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال له رجل ماشاء الله وشئت قال : (اجعلتني لله ندا ؟ قل ماشاء الله وحده) والشرك الأصغر لايخرج عن الملة ، وتجب التوبة منه ومن كل ذنب .

فصـــل

فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قولهم :

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾(١)

وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم وهم ثلاثة نفر توسلوا إلى الله بالأعمال الصالحة . والحديث في صحيح البخاري .

ولله سبحانه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

وكسؤال الله بأسمائه الحسنى قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾(٢)

وكالأدعية المأثورة في السنن (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام) وأمثال ذلك ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾(٣)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٣) سورة المائدة آية ٣٥ .

والوسيلة القرب التي يتقرب بها إلى الله وتقرب فاعلها منه ، وهي الأعمال الصالحة لما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (قال الله من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب وماتقرب لي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) الحديث .

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أهمه أمر فزع إلى الصلاة لأنها أعظم القرب إلى الله تعالى ، قال الله تعالى :

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ (١)

وأما التوسل بمخلوق وجعله واسطة بين الله وبين عبده ، فهو عين مانهى الله عنه في الآيات وأنزل بقبحه الكتب وأرسل الرسل : ومنه ماقالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة)(٤) وكان قصدهم يتقربون به .

---

(١) سورة البقرة آية ٤٥ .

فصــل

وأما الاقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق العلماء ، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه أو تحريم ؟ على قولين (أصحهما) أنه كراهة تحريم ، واختاره العز بن عبدالسلام في فتاويه . قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة رحمهما الله لاينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك ، أو بحق خلقك ، وهو قول أبي يوسف . قال أبو يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، والمشعر الحرام .

قال القدوري رحمه الله : المسألة بحق المخلوق لاتجوز لهذا فلا يقول : أسألك بفلان وبملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق ، انتهى .

وأما قوله : (وبحـقّ السائلين غليك) ففيه عطية العوفى وفيه ضعف ، ومع صحته فمعناه بأعمالهم لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والإجابة ، وهو تعالى وعد أن يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

وإذا والى العبد ربه وحده أقام الله له ولياً من الشفعاء ، وهي الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله .

بخلاف من اتخذ مخلوقاً من دون الله أو معه ، فهذا نوع وذلك نوع آخر .

كما أن الشفاعة الشركية الباطلة نوع ، والشفاعة الحق الثابتة التي تنال بالتوحيد نوع آخر .

فصـــل

ومما استدل به علينا الخصم وزعم أن دعوة غير الله وسيلة قوله : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم شفعه في) رواه الترمذي والحاكم وابن ماجة عن عثمان بن حنيف فجوابه من وجوه .

(الأول) انه في غير محل النزاع إذ ليس فيه سؤال النبي ﷺ نفسه ، وإنما فيه سؤال الله وحده أن يشفع فيه نبيه .

فأين هذا من عمارة القبور والقاء الستور عليها وتسريجها الذي وردت النصوص الصريحة الصحيحة في تحريمه كما في السنن أنه صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ، وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم حتى ابن حجر الهيتمي وغيره حددوها بأنها ماأتبع بلعنة أو غضب أو نار .

والأحاديث في تحريم عمارة القبور كثيرة في الصحيحين وغيرهما وارتكاب الكبائر والبناء على القبور ونحوه جنى على الأمة أعظم البلاء من دعاء أصحابها ورجاءهم ، والالتجاء إليهم ، والنذر لهم ، وكتب الرقاع لهم ، وخطابهم ياسيدي افعل كذا وكذا ، وبهذا عبدت اللات والعزى ، والويل كل الويل عندهم لمن عاب وأنكر عليهم .

ومن قارن بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وزيارتها ، وماكان عليه أصحابه ، وبين ماعليه الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر ، مناقضاً له . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وإذا كان سبب قول الله عز وجل :

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (١)

مجيء حبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، وقوله : نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أنداداً فتقولون: ماشاء الله وشاء فلان فقال رسول الله ﷺ «أما انه قد قال حقاً» وأنزل الله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وممن أخرج الحديث جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في تفسيره .

وهؤلاء يحب أحدهم معتقده أكثر من حب الله ، وان زعم أنه لايحبه كحبه ، فشواهد الحال تشهد عليه بذلك ، فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله ، ويحلف بالله كاذباً ولا يحلف بمعتقده . فلا جامع بين مااستدلوا به علينا وبين مانهيناهم عنه .

(الثاني) ان الحديث دليل لنا أنه لا يدعى غير الله عز وجل ، فإن قوله : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة) سؤال لله عز وجل لا للمخلوق . وتوجه إليه بدعاء نبيه بدليل مايأتي بعد . وقوله : (يامحمد إني

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢ .

أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي . اللهم شفعه في) معناه : أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته التي معناها في هذه الدار الدعاء ، ولهذا قال في تمام الحديث : (اللهم شفعه في) أي استجب دعاءه وهذا متفق على جوازه ، إذ الحي يطلب منه سائر مايقدر عليه .

أما الغائب والميت فلا يستغاث به ، ولا يطلب منه مالا يقدر عليه . قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (١)

إنما غايته طلب الدعاء من الحي ، وقبول شفاعته عند الله عز وجل ، وهو ﷺ انتقل من هذه الدار إلى دار القرار بنص الكتاب والسنة واجماع الأمة .

ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس بن عبد المطلب ، وطلبوا منه أن يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط ، أخرجه البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ، ولم يأتوا إلى قبره ولا وقفوا عنده مع أن حياته ﷺ في قبره برزخية .

والدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتباع . ولو كان هذا من العبادات لسنه الرسول ، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع . ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٤ .

احتياجهم وكثرة مدلهماتهم . وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله وأحرص على اتباع ملته من غيرهم ، بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده وهم خير القرون التي نص عليها النبي ﷺ في قوله : «خيركم قرني ثم الذين يلونهم» قال عمران : لا أدري أذكر اثنين أو ثلاثاً بعد قرنه . أخرجه البخاري في صحيحه .

(الثالث) أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله بغير محمد ﷺ وخرجوا عن محل النزاع إلى شيءٍ آخر ، وهو التوسل بغير رسول الله ﷺ ولا دليل فيه أصلاً ، لأنهم صرحوا بأنه لايقاس مع الفارق . فلا يجوز لنا أن نقول : اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك برسولك نوح ، يارسول الله يانوح .

ولا لنا أن نقول : إنا نسألك ونتوجه إليك بخليلك ابراهيم ولا بكليمك موسى ، ولا بروحك عيسى ، مع أن الجامع في نوح عليه السلام الرسالة ، وفي ابراهيم عليه السلام الخلة مع الرسالة ، وفي موسى عليه السلام الكلام مع الرسالة ، وفي عيسى روح الله وكلمته مع الرسالة ، فليس لنا أن نقول هذا لأنه لم يرد ، ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد . والقياس إنما يباح عند من يقول به للحاجة في حكم لا يوجد فيه نص . فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به ولا حاجة لنا إلى قول مخترع يجر إلى الشرك ، خصوصاً مع ماورد فيه ، وأنه في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل وأن هذه

الأمة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فالناجية من اتبع ماكان عليه ﷺ وأصحابه .

(الرابع) أن الوسيلة ليست هي أن ينادي العبد غير الله ، ويطلب حاجته التي لايقدر على وجودها إلا الرب تبارك وتعالى ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وأن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه .

فصـــل

وبما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله في المهمات قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود «إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوا» .

وفي رواية (إذا أعيت فلينادي ياعباد الله أعينوا) وهذا من جملة الجهل والضلال ، واخراج المعاني عن مقاصدها من وجوه .

(الأول) أن هذه ليست بوسيلة أصلاً ، إذ معنى الوسيلة يتقرب به من الأعمال إلى الله عز وجل وهذا ليس بقربة .

(الثاني) أن الحديثين غير صحيحين .

أما الأول فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع عن عقبة رضي الله عنه ، وحديث انفلات الدابة عزاه النووي رحمه الله لابن السني وفي اسناده معروف بن حسان ، قال ابن عدى هو منكر الحديث ولا دليل في هذين الحديثين مع ضعفهما ولا في الحديث المتقدم قبلهما على دعاء أصحاب القبور كعبد القادر الجيلاني من قطر شاسع ، بل ولا ينادي غيره لا الأنبياء، ولا الأولياء ، إنما غايته أن الله عز وجل جعل من عباده من لايعلمهم إلا هو سبحانه (ومايعلم جنود ربك إلا هو) وإذا نادى شخصاً باسمه معيناً فقد كذب على رسول الله ﷺ ونادى من لايؤمر بندائه ، وليس معنى الحديث في كل حركة

وسكون وقيام وقعود ، وإنما أبيح له ذلك إن أراد عوناً على حمل متاعه أو انفلتت دابته ، هذا مع تقدير صحة الحديث .

(الثالث) إن الله تعالى قال :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١)

فبعد أن أكمله بفضله ورحمته . لايحل أن نخترع فيه ماليس منه ونقيس مالا قياس عليه .

(الرابع) ان الحديث الصحيح إذا شذ عن قواعد الشرع لايعمل به ، فإنهم قالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به إذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة ، فكيف العمل بالحديث المتكلم فيه بما لايدل عليه دلالة مطابقة ، ولا تضمن ، ولا التزام ، فهذا هو البهتان .

(الخامس) انهم دعموا اجابتهم بذكر من يعتقدونه ونسبوا الأفعال إليهم ، وكل أحد يذكر ماوقع له من الاستغاثة بفلان وانه أنجده ، وكشف شدته .

فإذا قال أحد سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ، سبحانك هذا بهتان عظيم قاموا عليه وخرجوه وبدعوه ، وقالوا معلوم أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : فإذا قال نعم ولكن ليس لأحد منهم ملكوت خردلة والله

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

يقول : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ (١)

يكون جواب من يدعي العلم والإنصاف أن هذه الآية نزلت في عبادة الأصنام فيقال له : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) .

ومن المكابرة أن يعمل شخص كعمل المشركين أو أشد ثم يقول أنا لست بمشرك ، فلم يبق لهذا الزاعم مايتشبث به إلا قوله بأن الأمة مطبقة على هذا ، والأمة لا تجمع على ضلالة .

فيلزم تضليل الأمة وتسفيه الآباء .

وجوابه أن هذا كذب على الأمة ، وهذه كتب الحديث والتفسير كلها تنص على أن لايجوز أن يدعي غير الله عز وجل بما لايقدر عليه إلا هو ولا يباح ، بل الآيات البينات والأحاديث وأقوال العلماء ترشد أن هذا شرك محقق والله تعالى يقول لرسوله ﷺ :

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ (٢)

---

(١) سورة فاطر آية ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .

ويقول :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (١)

والأحاديث ونصوص العلماء لا تخالف الكتاب .

(السادس) أنهم اختلفوا في التوسل إليه بشيء من مخلوقاته تعالى وتقدس هل هو مكروه أو حرام ، والأشهر الحرمة كما قال به أبو محمد العز بن عبدالسلام في فتاويه أنه لايجوز التوسل إليه بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولاغيرهم ، وتوقف في حق نبينا محمد ﷺ هل فيه الحرمة أو الكراهة ، وتقدم قول أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله .

(السابع) أنهم يشترون أولادهم ممن يعتقدون فيه السر والبركة ويعبدونهم لهم ويبنون لهم الزوايا ويعمرونها بآلات الطرب واللهو ومطارق الحديد يضربون بها أنفسهم ، ومن أولئك جماعة يعرفون بالعلوانية ، والقادرية والرفاعية وأشباههم ، وهذه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان .

والله قد سمانا المسلمين . قال الله تعالى :

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا ﴾ (٢)

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٣ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

وإذا مرض هذا المشترى من المعتقد نذر أهله له النذور ، ولم يزل يستغيث به أن يشفي سقمه ، ويكشف شدته ، وهذا الأمر سرى في العلماء والجهال ، فهم قد غلبت عليهم العوائد وسلبت عقولهم عن تفهم المراد والمقاصد ، من الكتاب والسنة ، وكلام الأئمة إلا من شاء الله .

فصـــل

فبهذا يتبين أن الشيطان اللعين خدع أهل البدعة والجهل فنصبوا قبوراً يعظمونها ويعبدونها من دون الله ، ثم أوحى إلى أوليائه أن من نهى عن عبادتها واتخاذها أعياداً فقد انقصها حقها ، فيسعى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقوبتهم .

وماذنبهم عند هؤلاء إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد ، ونهوهم عن الشرك بأنواعه وقالوا بتبطيله ، فعند ذلك غضب أولئك المشركون ، واشمأزت قلوبهم . وقالوا قد انتقصوا أهل المقامات والرتب ، فاستحقوا الويل والعتب ، وزعموا أنا لانحترم الصالحين ولا نحبهم حتى سرى ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين ، وبسبب ذلك عادونا ورمونا بالعظائم والجرائم ، ونسبوا كل قبيح إلينا ، ونفروا الناس عنا وعما ندعوا إليه ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا ، وزعموا أنهم أولياؤ الله وأنصار دينه ورسوله وكتابه ويأبى الله ذلك ، فما كانوا أولياءه أن أولياؤه إلا المتقون ، الموافقون له ، العارفون به ، وبما جاء به ، والعاملون به ، والداعون إليه لا المتشبعون بما لم يعطوا ، اللابسون ثياب الزور ، الذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهديه وسنته ويبغونها عوجاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وتعظيم الأنبياء والأولياء واحترامهم ومحبتهم متابعتهم فيما يحبونه ويأمرون به ، وتجنب مايكرهونه وماينهون عنه قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١)

فأهل التوحيد أين كانوا أولى بهم وبمحبتهم ونصرة طريقهم وسنتهم وهديهم ومناهجهم ، وأولى بالحق قولاً وعملاً من هؤلاء المبتدعة الذين كانوا هم أعصى الناس لهم وأبعدهم عن هديهم ومتابعتهم . وصنيعهم معهم كصنيع النصارى مع المسيح ، وكاليهود مع موسى ، والرافضة مع علي .

ومن أصغى إلى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشياطين وشركهم الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وينبت النفاق في القلب .

وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول واجتهد في اقتباس الهدى والعلم منهما أغنياه عن البدع والشرك والآراء والترخصات والشطحات والخيالات التي هي وساوس الشيطان .

وكذلك من عمر قلبه بمحبة الله وبخشيته والتوكل عليه أغناه أيضاً عن عشق الصور ، وإذا خلا عن ذلك صار عبد هواه أي شيء استحسنه ملكه واستعبده .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .

فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان مشرك شاء أم أبى .
كما في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي واسمه حيان بن حصين قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

وفي الصحيح أيضاً عن ثمامة بن شفى الهمداني قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها . وقد أمر به وفعله الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون .

قال الشافعي في (الام) ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم مايبنون على القبور . ويؤيد الهدم قوله (ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) وحديث جابر الذي في صحيح مسلم نهى ﷺ عن البناء على القبور ولأنها أسست على معصية الرسول لنهيه عن البناء عليها وأمره بتسويتها فبناء أسس على معصية الرسول ومخالفته بناء غير محترم وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً ، وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً إذ المفسدة أعظم حماية للتوحيد والله المستعاون وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على أفضل المرسلين سيدنا ونبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



المطابع الأهلية للأوفست
الرياض ١١٤٦١ - ص.ب ٢٩٥٧ تلفون: ٤٠٢٧٥٤٦